السلام في الإسلام

محمد نصيرى[1]

إن موضوع الصلح والسلام ومكانته في الدين الإسلامي من أهم قضايا الساعة؛ إذ تثار قضيته بين الفينةو الفينة كمسألة ملحة يطلب لها جواباً ناجعاً ولما لم تكن تلك الأبحاث ملبية بالغرض الذي إياها استدعى ولها ارتجي، بقي السؤال عينه مطروحاً للحوار و البحث والمناقشة أكثر من ذي قبل؛ ذلكَ أن الهجمة الاستعمارية المستهدفة للإسلام أحكاماً ومفاهيم وأفكارا لم تستنكف عن محاولة النيل منه بشي مما عساه أن يحقق لها نصراً عليه إلا وقذفت بشُبَه ضلالها في صراطه المستقيم علّها بذلك تضلل معتنقيه وتفتن مناصريه عن الإيمان به، فضلاً عن الذبّ عنه. هذا، وإن المقالة الحاضرة تسلط الضوء على قضية الصلح والسلام ونظرة الإسلام لها بوصفها قضية فرضت نفسها بتبعاتها وخاصة مع محاولة خلط الأوراق والتلبيس على العالم بأَسره من أن وجهة النظر الإسلامية لا تغاير في حقيقتها تلكَ الوجهة التي اختطتها الدول الإستعمارية لنفسها وفرضتها بقوة الحديد والنار على شعوب العالم لتُخضعها لمخططاتها فتنالَ منها ما شاءت وما لأجله سُعّرت الحرب. أقول: إن المقالة هذه تعيد النظر تقييماً وتقويماً للرؤى المختلفة التي حاولت تفسير سر العلاقة ما بين الجهاد والفتوحات الإسلامية – وقل الحرب إن شئت على غرار العبارة المعاصرة – من جهة، وما بين الصلح والسلم – وقل السلام إن أردت وفقاً لما اصطلح عليه حالياً – من جهة أخرى، أقول: العلاقة ما بين الحرب والسلام في ضوء الرؤية الإسلامية الأصيلة من منبعها الذي لا ينضب ولا ينكص عن الوفاء باحتياجات المؤمنين به روحياً ومسلكياً، هذا المنبع المتمثل بكتاب الله تعالى سبحانه وسنة وسيرة نبيه وآله الأطهار عليهم السلام جميعاً. وعليه، فلقد سلكت هذه المقالة نهج الاحتكام للكتاب وسنة وسيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، من تناول للآيات الكريمة بنحو من التفسير الموضوعي، وتتبع لأحداث السيرة النبوية العطرة على نهج التبويب التحليلي لمجرياتها. وقد قدمت لهذا كله ببيان الآراء ووجهات النظر في هذه المسائلة مرجحة بذلكَ رأيها الذي تطمئن إليه وترتضيه.

الكلمات الرئيسة: الإسلام، السيرة النبوية، الحرب (الجهاد)، السلام (الصلح والسلم)، معاهدات.

المقدمة

إن مسألة الحرب والسلام من المسائل المعاصرة التي احتلت موقعها من البحث وشغلت حيزها من الحوار والمناقشة(١). فلقد أقامَ العديد من المذاهب السياسية والاجتماعية والدينية، وغيرها منذ القديم وحتى الآن بوضع المقترحات والبرامج العديدة لتجنيب الناس الحروب أو العمل وبذل الجهود لمحاولة إيقافها والحيلولة دون وقوعها، وعلى الرغم من كلّ هذه المساعي المبذولة، إلا أن النتائج لاتزال ضعيفة وقليلة الجدوى(٢).

١. أستاذ مساعد، قم، ايران

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-12-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.7.2]

والتقسيم الكلي لآراء العلماء المسلمين وغير المسلمين حول علاقة الإسلام بالسلام ماثل في الأقسام التالية:

أولاً: الإسلام دين الحرب

يعتقد جماعة من العلماء أن الإسلام لا يمكنه أن يتعايش — بأي وجه كان — مع الكفر العالمي؛ إذ لا يكفّ — من هذه الوجهة — عن الدعوة إلى الجهاد ولا ينفكُّ يتوسل به مسعىّ له لإسعاد العالمين، باخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور هدايته[٣].

ومن زاوية أخرى، فإن الإسلام دين عالمي، يوجب قيام نظام ودولة تحكمه في الحياة هادفة إلى نشره والدفاع عنه؛ حتى يتسنى له التصدر والقيادة عالمياً، وهذه وظيفة شرعية وتكليف مقدس. ولعل هذه الرؤية هي التصور الرائج فيما بين الغربيين «وخاصة المستشرقين منهم» حول مفهوم الجهاد في الإسلام. ويعني هذا أن لا نهاية للحروب والقتال في الإسلام. وبناء على هذا، فإن العلاقة فيما بين المسلمين وغير المسلمين قائمة على استحالة التعايش فيما بينهم وهو مما ينبغي التسليم به[٤]. ولو أنه تخلل تاريخ المسلمين في العصور المتعاقبة روابط حسن جوار فيما بينهم وبين غير المسلمين، إلا أن مرجعَ ذلكَ عواملُ أخرى أدّت إلى قيام هذه العلاقة. [سنبين أن هذه النظرية لا تقبل الذبّ عن نفسها]

ثانياً: الإسلام دين السلام والحرب معاً

وجماعة، وخاصة الكثرة الكاثرة من المفكرين المسلمين، تعتقد أنَّ الإسلام دين السلام والحرب معاً. ويرى هؤلاء أنه حينما يقال إن الدين المشتمل على تفاصيل الأحكام المتعلقة بالحرب والقتال وبيان المسائل المتصلة بذلكَ كله، وأن هذا جميعه من مقررات هذا الدين، إلا أن ذلك لا يعني أنه لازم التطبيق على الدوام بحيث يمتنع التعايش مع قيام الجهاد. وفي المقابل، لو قيل إنَّ الإسلام لديه أحكام وقوانين في السلام، فإن ذلكَ لا يعني أنه يجنب أتباعه الحرب، لأَنَّ الأمر ههنا يبين في أن الحرب مقدمة للصلح والسلام، والسلام هو ذاته بمثابة أرضية مناسبة للتعايش بعد الانتصار من الحرب وقتال الأعداء[٥].

ولربما أمكن القول: إنَّه على أساس هذه النظرية، فإن الإسلام ينظر إلى الحرب والسلام تبعاً للظروف المصاحبة لذلكَ الزمان، مع أن ثمة تناقض في هذه النظرية من حيث أنه لا يمكن القول بأصالة أى من السلام أو الحرب في الإسلام ولا أصالة كليهما لأنه التناقض عينه.

والدليل الأهم لهؤلاء، هو أحكام الجهاد بتقسيماته الدفاعية والابتدائية، إذ أنه هو الماثل في حروب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والمتعين من آيات القرآن الكريم أيضاً، وهو ضرورة قيام الجهاد ابتداء دفاعاً عن الدين. وعلاوة على هذا، فإن الجهاد ابتداء — في نظر الإسلام — منوط بحضور الإمام المعصوم أو من ينوب عنه.

والعامل الأهم في مشروعية الجهاد في الإسلام، هو ضرورة رفع الظلم عن المظلومين ونصرهم[٦] وإزالة الحواجز القائمة في طريق الدعوة إلى التوحيد والحق معترضة إياه، والوقاية من المنكر والفساد ومنع شيوعهما، ومواجهة الفتنة وإخمادها، في الوقت الذي تتجلى فيه مسألة الدفاع كمسألة حتمية له.

ثالثاً: الإسلام دين السلام

وجماعة كثيرة من المفكرين المسلمين وثلة من غير المسلمين، ترى أنَّ الإسلام دين السلام، و أن أصل العلاقات الدولية في الإسلام ومبناها إنما هو السلام عينه، فليست الحرب في نظر الإسلام سوى ضرورة تستدعيها الظروف أو هي محض استثناء. وفي ضوء هذه النظرية، فإن الآيات النازلة في أواخر حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي تدعو إلى قتال الكفار[٧]، وبالنظر إلى تلكَ الآيات الواقعة في مستهل سورة التوبة التي تعالج نقض المشركين للعهود، فإن ذلكَ كله دالّ على أصالة الصلح والسلام في الإسلام. وعلى أساس هذا التصور، فإن الآية التاسعة والعشرين من سورة التوبة، لا تفيد — بدورها كذلكَ — جواز مهاجمة أهل الكتاب وإعلان الحرب عليهم بدون قيد ولا شرط[٨]. لكن معناها ينصرف إلى أولئكَ الأشخاص والأقوام التي تنقض عهودها، أو تلكَ الأقوام التي تقف في مواجهة الدعوة وأهلها وتعلن العداء للدين الحنيف.

ومن بين الأدلة التي توسل بها أصحاب هذا الرأي للبرهنة علىما ذهبوا إليه ما يلي:

أولاً: السلام في المنظور العالمي الإسلامي

إن السلام في المفهوم الإسلامي يرتبط بواقع هذا القانون والنظرية الكليين وشمولهما للعالم (للكون)والإنسان والحياة. وإن دين الإسلام إذ يعالج المشكلات الإنسانية، لا يعالجها منفصلة ولا مبتورةعن سائر الأمور التي هي من متعلقات الحياة الإنسانية، كما أن مسائله

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.7.2]
[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-12-26]

وموضوعاته تظهر كوحدة كلية جامعة لفروعها شاملة لجزئياتها. والمبدأ الأصيل الذي يجمع كليات المسائل وعليه تبنى موضوعاتها هو وحدانية الله عز وجل. وبالنظر إلى هذا الأصل الأصيل، فإن النتيجة العملية الحتمية تتجلى في توجه كافة المخلوقات إلى خالقها الواحد الأحد وتعلقها به.

والمبدأ الثاني، ينظر إلى وحدة التحولات والتطورات المتعلقة بسير الحياة في هذا العالم، حيث يقرر أنّ بدء وانبعاث الحياة في هذا العالم إنما صدر عن حكمة إلهية، وهو يهدف إلى ما تقتضيه، وينظر بعين الاعتبار إلى سدّ احتياجات الإنسان والمخلوقات جمعاء، وإلى كيفيـــة حفظها ورعايتها لتستديم في سيرها ولئلا تعود عدماً فتبطل بذلكَ الحكمة ويضل الهدف[٩].

وثمة مبدأ آخر، ينص على اتصال الخلقة ووحدتها، وهذا في البشر ينبعث من رجوعهم إلى آدم والأصل الذي جبل منه، وهو التراب، ومن ثم تسلسل الأجيال بالتناسل والتوالد[١٠]. ومن هذا الطريق، فإن حقيقة الأمر في نظر الإسلام تنبئ عن أن جميع أشكال النزاع وأنواعه من مادية وعرقية، والعوامل المسببة لها، لا تلبث أن تزول وتضمحل وتتلاشى باقرار مبدأ الوحدة الإنسانية والعمل بموجبها والاعتراف بأصالتها وانبعاثها على هذا النحو في الحياة. كما أن تصريح القرآن بنداءاته المنبعثة من آيه على أن تفاضل الشعوب والقبائل واختلافهم فيما بينهم إنما كان لأجل التعارف والعيش مع بعضهم سني الحياة، وليس هذا الاختلاف يراد منه قيام أنواع العداء والكراهية والتباعد والفرقة وتقطيع الأواصر الإنسانية، بل إنه أزال كافة الموانع وأسبابها التي تبعث على قيام النزاعات والتفرقة الدينية[١١].

والإسلام يبعث السلام ويبث روح الطمأنية من جهة علاقة الإنسان بربه سبحانه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بقومه وأسرته، وكذا علاقته بسائر أفراد مجتمعه، بل علاقته بالطبيعة من حوله التي تربطه بها أواصر الخلقة. والإسلام كذلك يكشف عن المعايير والأصول التي تحدد طبيعة كلٍّ من هذه العلاقات الأربعة(الله، النفس، النوع الإنساني، الطبيعة)[١٢].

ثانياً: أساليب دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

إن دراسة أسلوب الدعوة الإسلامية والاطلاع على حيثياتها، بوصفها أهم وآكد عوامل نشوب الحروب والنزاعات، في ظل سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الرسول الأكرم، يتجلى لنا بوضوح تام أن بناء أصول الإسلام، الفكر الإسلامي، والأحكام الشرعية العملية، إنما يقوم ويبتني على أساس السلم والصلح. ثم إن أبرز ما في رسالة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إنما ينصب على هداية الناس فكرياً ودعوتهم إلى التوحيد، وذلكَ باتباع أحسن الأساليب وأنجعها، وهي أسلوب الاستدلال بالحكمة لغاية تقوية روح التفكير وتعميق الفهم والإدراكات، كذلكَ أسلوب الموعظة الحسنة التي تزرع المحبة والود، وتقنع الفطرة وتروي الإحساس، وفي حالة ظهور النزاع الشديد والمعارضة والعناد فإن أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن من مساعي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، النبي الأكرم، يقول الله تعالى «**ادع إلى سبيل ربكَ بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**[١٣]».

وفي الفترة المكية التي استمرت ثلاث عشرة سنة (وهي فترة عصيبة أخذت على عاتقها كسب وتربية النواة الأولى لحركة التوحيد في الإسلام)، فقد تمثلت فيها كافة هذه الأساليب الدعوية، يقول الله تعالى «**فذكر إنما أنت مذكر. لست عليهم بمصيطر**[١٤]». ثم إن هذه الأساليب أثرت في نفوس وأفئدة أهل المدينة، إذ آمنوا بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فصاروا مسلمين.

هذا، وإن كافة القادة الذين أمرهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وساحوا في البلاد كانوا يدعون إلى الله وإلى توحيده وعبادته مفردين إياه بها (داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً)، ولم يأنف عن التلبس بهذه الأعمال سوى أفراد قلائل، أما الغالبية العظمى فقد اتبعوا نداءات الرسول وأطاعوه، وإن رسائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم تشهد بهذا كله[١٥].

وفي قمة الاستطاعة التي وجدها المسلمون من أنفسهم، وبعد إعلان البراءة من المشركين في السنة التاسعة للهجرة، فإن صريح أوامر القرآن الكريم تنص على أنه لو استجار أحدٌ من المشركين مسلماً فالواجب أن يجيره وأن يعطيه الأمان كي يسمع كلام الله ووحيه، ومن ثَمّ ليبلغه مأمنه بأن يعينه بما منه يأمن به على نفسه...؛ لأن في ذلكَ كلّه نشر للدعوة وتبليغها الناس[١٦]. وفي صلح الحديبية أيضاً، لما استتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الأمرُ وساعدته الظروف قبل الصلح والمسالمة.

وفي الأساس، فإن الإسلام في سعيه للصلح والسلام، يتوسل بالحرب في سبيل إقامتهما، إذ المسلمون في مواجهتهم للظلم ومقاومتهم إياه لابد لهم من الدفاع باتخاذ التدابير اللازمة لذلكَ.

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.7.2]
[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-12-26]

وبالنظر في أسباب النزول لآي القرآن الكريم، والنقولات التاريخية المعتمدة الشاهدة بسيرة الإسلام، وكذا سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في مكة المكرمة والمدينة المنورة، فإن الإسلام والمسلمين، في الأصل، لم يكونوا ليتعرضوا للمعاهدين من أهل الكتاب طالما أوفوا بما تنطوي عليه المعاهدات من مبادئ و لم يظهر منهم اعتداء ولا تجاوز، بل إنهم في مثل هذه الحالة كانوا يؤكدون على أوجه التوافق في الأفكار الدينية فيما بينهم وبين أهل الكتاب، قال الله تعالى: «**قُل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله وألا نشرك به شيئاً...**[١٧]»، كما أن المسلمين في مجادلاتهم لهؤلاء (أهل الكتاب) كانوا ملزمين برعاية الإنصاف والأدب، والنأي عن سوء المجادلة وقبح الحوار، قال تعالى: «**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم...**[١٨]». بل إن أساس القانون الإسلامي يدعو إلى ترك النزاع وتجنب الحرب، ومداراة الأشخاص الذين لم يعلنوا المخاصمة و لم يشهروا المنازعة، والذين يميلون إلى المسالمة، لقوله تعالى «**وإن جنحوا للسلم فجنح لها وتوكل على الله**[١٩]». والمؤمنون مأمورون باتباع القانون الديني الذي يقضي بأن يكونوا دعاة للسلم وطلاباً للسلام، قال تعالى «**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**[٢٠]». كما أن الإسلام يدعو إلى مسالمة ومصالحة أولئكَ الذين لم يصدوا المسلمين عن دينهم ولم يعلنوا العداء لهم والمعتقدهم، ولم يمنعوهم من عبادة الله تعالى وإقامة المناسكِ والشعائر، و لم يعملوا علىتحريف الدين وإبطال الأحكام، فالإسلامَ إزاء هؤلاء يأمر أتباعه بالقسط معهم ويوصيهم بحسن معاملتهم، قال تعالى: «**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم...**[٢١]» أي لا ينهاكم الله عن عمل الخير والمعروف وإقامة العدل في حقِّ أولئك الذين لم يقاتلونكم و لم يعملوا على طردكم من بيوتكم وإخراجكم من مساكنكم، مضافاً إلى الصلح والمسالمة لهم، فالله تعالى يحب كلَّ المقسطين ويرضى عنهم. ولكنه تعالى يدعوكم إلى الوقوف صفاً في وجه أولئكَ الذين ظاهروكم العداء وقاتلوكم لأجل دينكم وعملوا على إخراجكم من أرضكم وتشريدكم.

وفي ضوء الآيات المذكورة، وغيرها من الآيات، فإن القرآن يكشف عن علة نشوب الحروب وعوامل قيامها بين المسلمين والمشركين في أنها ممانعة المشركين إياهم من ممارسة المناسك الدينية وإقامة شعائر هم المقدسة، وإخراجهم إياهم من ديارهم، وإعلان الحرب عليهم، ومواجهتهم ومنازعتهم وصدهم عن الدين، وفي هذا يقرر القرآن الكريم «**فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**[٢٢]». وعليه، فإنهم لو تركوا حربكم وتجنبوا قتالكم ودعوكم إلى الصلح والمسالمة، فإن الله لن يجعل لكم الحق في قتالهم ومحاربتهم ولن يكون ثمة سبيل عليهم، وفي هذا يقول تعالى «**فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم عنكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفموهم...**[٢٣]»، يعني إذا هم لم يجتنبوا قتالكم و لم ينأوا بأنفسهم عن حربكم ولم يقبلوا صلحكم ومسالمتكم ولم يكفوا عن إفسادهم، فعادوهم وتتبّعُوا مسيرهم لتُحكموا القبضة عليهم وتردعوهم وتجازوهم قتالاً وتقتيلاً.

وبالطبع، فإن الإسلام في إرادته للصلح والمسالمة لا يسعى لإخفاء رأيه في مسألة الجهاد والمدافعة، كما لا يسعى إلى إقرار الصلح والسلام غير الواقعي أو الحقيقي. وعلى هذا الأساس، فإن الرؤية الإسلامية للأحكام المتعلقة بالحرب والمعالجة لها، إنما التزمت ذلكَ القدر الضروري لوضع الأحكام موضع التطبيق (وهي المتعلقة بعبادة الناس لربهم)، وأرادت بذلكَ أن تجري مجراها الطبيعي. كما أن الإسلام وضع قوانينَ وأحكامَ الوقاية من الحرب فحدّ بذلك من اتساع دائرتها، وعمل على ضبط مسارها حتى يقلل من حجم الخسائر والأضرار المتحققة والناتجة عنها[٢٤].

وعلى مدار خمسٍ وعشرين غزوة، فإن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنجز بعضاً منها فأوصلها إلى المواجهة الدامية، والمتوسط الحسابي لعدد القتلى في هذه الحروب بالاستناد إلى أهم المصادر التاريخية – تاريخ اليعقوبي، تاريخ الطبري، مروج الذهب السيرةالنبوية، بحار الأنوار، البداية والنهاية، الكامل في التاريخ قد بلغ ألفاً وثلاثمائة وستة أشخاص، فهل هذا الإحصاء في واقعه ليس إلا دليلاً على أن الإسلام يجنب أتباعه الحروب والمنازعات ويؤكد بدوره على أن الإسلام يسعى حثيثاً لإقامة الصلح وصنع السلام. فمن جانب، ليس من المصادفة أنَّ الحروبَ والمنازعات المدمرةَ والشاملةَ في العصر الحاضر – كما هو الحال في السنين الغابرة – من صنع الغرب أو من مساهماته، وأنها قد شرعت من جهته، تلكَ الأرض التي في ظاهرها محكومة من قبل الدين المسيحي. وبالطبع،

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-12-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.7.2]

فهذا ليس يعني أنه من صنع الديانة المسيحية وأنها هي التي سعرت الحرب وأوقدت نيرانها، ذلكَ أنّهُ من المعلوم لدينا جيداً أن الحرب نتاج عمل وصنع المجتمعات التي ثارت على المسيحية مرات عديدة وبسبل مختلفة تمرداً عليها[٢٥].

ثالثاً: حرية العقيدة سنة إلهية وإحدى أركان الإسلام

بالنظر إلى آيات القرآن الكريم وسيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فإن حرية العقيدة من أصول ومباني الإسلام التي يستند إليها لقوله تعالى «**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**[٢٦]» والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إنما بعث ليخلص الإنسان من قيود الأسر بنوعيها الداخلية والخارجية التي تحدّ من تصرفات الفرد والمجتمع فيقعان حبيسين لها. وعلى هذا، فإن اللجوء إلى العنف والشدة وإشهار السيف لا معنى له[٢٧]، وخاصة حينما نرى أنَّ الإسلام يقبل الإيمان والتسليم الظاهري ويعتبره مقدمة للإيمان الراسخ القلبي الذي لا يمكن أن يتوافق مع أيّ من أشكال الخشونة أبداً ولا يتواءم معها، وعلى الأخص، فإن الإكراه على قبول العقيدة أدى إلى اتساع النفاق والتظاهر بالإسلام رياءً والذي بدوره ليس بأقل خطراً من الكفر ذاته.

والإنسان، آدم وبنيه، هو خليفة الله في أرضه لقوله تعالى «**إني جاعل فى الأرض خليفة**[٢٨]»، وقد أبان الله له السبل بأنواعها الصحيحة وغير الصحيحة لقوله تعالى «**وهديناه النجدين**[٢٩]»، وقد وهبه الاختيار في القيام بالاعمال فهو حر من هذا الجانب لقوله تعالى «**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**[٣٠]» كما أَنَّ أياً من أشكال التغيير في حياته موكول إليه وإلى سعيه في هذه الدنيا لقوله تعالى «**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم**[٣١]».

والإسلام يؤكد على ضرورة أنْ يقدم المؤمن على اختيار العقيدة على بصيرة[٣٢]، وأن يتعامل مع الآراء والعقائد الأخرى على نحو طبيعي، وأن يرى أن الأحسن كشف الحقيقة في أمر تلكَ الاعتقادات المختلفة.

والإسلام لا يرى أن استدلال أتباع دين ما على وجه أحقية دينهم لا يجيز لهم إكراه الآخرين وإجبارهم على اتباع ذات الدين. والناظر في معاني آيات القرآن الكريم المبينة لتفاصيل الجهاد في الإسلام لا يستشف أياً من هذه المعاني (الإكراه والإجبار) ولا يستنبط نحواً من هذه المعاني كذلكَ. فالآيات من مثل «**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**[٣٣]»، هذه الآية لا يراد منها بيان حكم شرعي فقهي، بل المراد منها إفهام أهل الكتاب أنهم إن أرادوا أن يبقوا أحياء على دينهم فعليهم أن يؤدوا الجزية المفروضة عليم.

ومن جانب آخر، فمن الصعوبة بمكان أن نثبت مستدلين بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن الجهاد في الأصل ابتدائي وأنه جهاد لأجل الدعوة، لكن الجهاد في حقيقة أمره هو دفاع عن النفس والمال والعرض، ودفاع عن المظلومين، وإزالة للفتنة، ورفع الحواجز والموانع التي تحول دون بلوغ الدعوة لعامة الناس. وأن ليس فيه أي صورة إجبار أو إكراه؛ ذلكَ أنَّهُ من مجموع الآيات[٣٤] والروايات يظهر لنا أن الجهاد قد أتى في مواضع مطلقاً وأخرى ورد مقيداً. ووفقاً للقانون اللغوي في دراسة المتون، فإنه ينبغي حمل المطلق على المقيد ليتواءم معه.

فالمقيد من الآيات، في حقيقته، مفسر لمطلقها.وفي ضوء هذا، فالجهاد المقدس الإسلامي إنما ترفع رايته في وجه كلّ من وقف عداء للمسلمين وحاربهم وواجههم بالسوء من العمل. ولايحق لأي مسلم أنْ يمارس أي مسلك عدواني في حق أي من الناس[٣٥].

مضافاً إلى ما ذكر، فإن عيش المجموعات المشركة من الناس في أوساط المجتمعات الإسلامية ومشاركتها إياها في المناظرات والحوار، ومراجعتهم لقول أئمة وعلماء المسلمين، لهو خير دليل وأبين شاهد على أن الإسلام لم يجبر أحداً على تغيير عقيدته ولم يكره أياً من كان قبول عقيدته ولم يتوسل إلى ذلك بأي أسلوب عسكري حربي، فلم يعمد إلى هذه الأساليب لأجل الوصول إلى مقاصده وبلوغ أهدافه؛ لأنها لا تتناسب مع سموها[٣٦].

هذا، وإن عشرات من الآيات القرآنية تدلُّ على أَنَّ إعطاء الحرية لشعب ما وتخييره في قبول الإسلام أو البقاء على ديانته القديمة، هو من السنة الإلهية والقانون الطبيعي، يقول تعالى: «**ولو شاء ربكَ لآمن من في الأرض جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**[٣٧]»، وفي سبب النزول لهذه الآية الكريمة رواية مأثورة تنص على أَنَّ الإكراه هو بدعة في الدين. وقد ذُكِرَ أَنَّ المأمون العباسي سأل الإمام الرضا عليه السلام عن الآية، فقال الإمام من رواية له عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، أنَّهُ قال: إن المسلمين قد سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: يا رسول الله، لو أكرهت الناس على أن يقبلوا دينك، لزاد عددنا ولتضاعفت قدرتنا أمام أعدائنا. فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا أود أن ألق الله ببدعة لم يتزل فيها من لدنه قرآنا،

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-12-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.7.2]

ولست من المتشددين. وبعدها فإن الله تعالى أنزل عليه قوله: يا محمد، لو أراد الله أن يؤمن كلّ من في الأرض بطريق الإكراه والإجبار كمالو أنهم عاينوا أحوال الآخرة وشدائدها فآمنوا حينئذ، فإذا فعلت ذلك فلن يكون ثمة ثواب ولا مكافاة على الإيمان، ولكن أريد أنْ يؤمنوا طواعية من لدن أنفسهم دونما إكراه أو إجبار حتى يتحقق معنى التكريم بالجنة ثواباً لمن آمن واتقى[٣٨].

والآيات التي تبين حدود مسؤولية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في أمر الدعوة وأساليب التبليغ التي سلكها، تبين أن الإكراه والإجبار لا موضع لهما، وأنهما من الأساليب المرفوضة في التبليغ والدعوة إلى دين الله تعالى، إذ أن وظيفة النبي إنما تنحصر في هداية الناس، وسبيلها الموعظة، التذكير، التبشير، الإنذار، والمجادلة بالتي هي أحسن. يقول الله تعالى: «**فإن أعرضوا فما أرسلناكَ عليهم حفيظاً إن عليكَ إلا البلاغ**[٣٩]»، ويقول تعالى «**فذكر إنما أنت مذكر. لست عليهم بمصيطر**[٤٠]» وقال عزوجل: «**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**[٤١]»، وقال عزوجلّ شأنه: «**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**[٤٢]»، وقال جلّ شأنه: «**وإن أحد من المشكرين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلكَ بأنهم قوم لا يعلمون**[٤٣]»

من هذه الآية الأخيرة ثمة مسائل مهمة جداً يمكن استنباطها منها:

أولاً: إن سبيل البحث والنظر لأي شخص، حتى لو كان مشركاً، ميدانه فسيح، وإن كلّ صاحب عقيدة لديه الحق في استلهام طريق الصواب والاستقامة والسعي في سبيل الوصول إليه. وعلى هذا، يجب أن يترك واختياره حتى يتسنى له اختيار أصلح الطرق وأقوم العقائد وأحسن أديان الأرض.

ثانياً: مضافاً إلى ضرورة توافر الاختيار على الحرية اللازمة له، فإن ضمان أمن وسلامة الأفراد المخيرين في العقائد أمر رديف لهذه الحرية.

ثالثاً: ثم إن نتيجة البحث والنظر التي يتوصل إليها الفرد الباحث عن الحقيقة، أيّاً ما كانت، لا ينبغي التدخل فيها وإكراه صاحبها على قبول عقيدة مفروضة عليه.

رابعاً: كذلك، يجب تهيئة الظوف لكلّ مشرك (كافر) مستجير كي يسمع نداء الله ووحيه ليتسنى له اختيار أحسن القول ويتخذ القرار اللازم من حيث قبوله الدين الجديد أو تركه، وتبين الحق والحقيقة من الباطل، فيكون اختياره هذا مبني على أساس من السماع لنداء الله وعلى إجالة النظر والفكر تدبراً في مدلولاته.

خامساً: ومن ثمّ يتم إيصال المستجير هذا إلى المكان الذي يتبلغ به الأمن؛ ليتسنى له ممارسة ما تقتضيه عقيدته من مناسك وعبادات وشعائر[٤٤].

مشروع الصلح والسلام في كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إنَّ بعضاً من معاهدات الصلح والسلام التي أبرمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما كان لغاية ترك العداوة ونبذ الخصومة ابتداء، أي إنها لم تكن إثر غزوة قام بها أو معركة أقدم عليها. ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أبرم بعضاً من معاهداته إثر قيام نزاعات بين المسلمين وبين أعدائهم من المشركين، إلا أن المسلمين كانوا وقتها ذوي قدرة ومنعة وكانوا كذلك منتصرين؛ لذا لم يكن من بأس حينما قبلوها واستجابوا لنداء الإسلام. هذا، وإن ثمة معاهدات ليس لها علاقة بالحرب أصلاً، لا للوقاية منها ولا لإيقافها، بل كان لعلة أخرى هي إرادته عليه الصلاة والسلام أخذ الجزية من أهل الكتاب ليقوي بذلكَ اقتصاد المسلمين فينتفعوا من المال المتفق عليه الذي يسن ويشترط في فقراتها.

أما الأمر الذي هو محل أهمية وموضع اعتبار ههنا، هو أن إقدام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الصلح والسلام إنما هو شأن الدين الذي بعث به، شأن الإسلام الذي يهدف إلى نجاة الناس وانقاذهم من ظلمات وضلال الكفر؛ لذا فإن مسلكَ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك إنما هو مسلك ترجيح الصلح والسلام على الحرب، وهو منهج مرتبط بالأصول الكلية الدينية للإسلام، أي أنه منهج أصيل لديه وليس مجرد عمل ظاهري شكلي. ولا يمكن القول بأن عناية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقبوله للصلح و إقباله عليه وأنه لم يكن يودّ أن تنقض أحكام معاهداته لأنه الواضع لها، ومن ثم قد ينشأ إثر هذا النقض من التراع والخصام ما يؤدي إلى نشوب حرب ثانية، بل لأن معاهداته عليه الصلاة والسلام إنما ارتكزت على أسس متينة في فقراتها منطقية وموزونة المقررات؛ لهذا كله لم يكن يقبل بأي حال ما أن تفشل معاهداته في إقامة الصلح والسلام.

معاهدات الصلح ما قبل الحديبية[٤٥]

أولاً: معاهدة الصلح مع اليهود

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-12-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.7.2]

وهي أول مصالحة في الإسلام، إذ كانت قد أبرمت بُعيد دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة المنورة، وهذا الصلح الذي أبرم مع يهود المدينة يمكن تقسيمه إلى:

ألف- يهود الأنصار (اليهود داخل المدينة): حيث كانوا تابعين لقبيلتي الأوس والخزرج، وقد عَدَّهُم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من ضمن الأنصار وأهم أُمَّةٌ من دون الناس، حينما سنَّ أول عهد عام، وهو أول وثيقة لقانون أساسي في الإسلام، فلهم أن يقوا تبعاً لذلك على ما هم عليه من قوانين، وبذلك قد أصبح المعاهدون كما نصت عليه الاتفاقية هذه ملزمون بالدفاع عن المدينة بشرط أن يحظى جميعهم بذات الامتيازات المدنية.

ب- قبائل اليهود الثلاثة (قبائل أطراف المدينة): وهم بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة(٤٦). وهؤلاء قد أصبحوا ملزمين — بحكم المعاهدة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — أن يبقوا على الحياد بأن لا يظاهروا أحداً على المسلمين بتقديم المعونة للكفار، في مقابل حفظ أرواحهم وأموالهم وحفظ معتقداتهم وقوانينهم الخاصة بهم(٤٧).

ثانياً و ثالثاً: أما ثاني وثالث صلح صكّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلام فقد كان على شكل كتاب بينه وبين المشركين من بني ضمرة(٤٨) وبني مدلج(٤٩)، والذي ينصُّ على منابذة العداوة.

صلح الحديبية (النصر العظيم)

إن الصلح الذي قام بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبين مشركي مكة إنما هو صلح الحديبية الذي هو في نظر المفسرين أنه المتحدث عنه في أوائل سورة الفتح وهو سبب نزول الآيات الكريمة من السورة. وقد وصف في عرف القرآن بأنه الفتح المبين، أي النصر العظيم. وبعد هذا الصلح وجدت الدولة الإسلامية على أرض الواقع واشتهرت في أرجاء الجزيرة العربية على الصعيد الرسمي، وأصبح المسلمون بذلكَ أحراراً في القيام بالتبليغ للإسلام حيث أوفدهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بكتبه ورسائله إلى أقاليم وممالكَ (إيران، مصر، الروم،...) ليعقدوا معهم العهود والمواثيق فكانوا سفراءه إليهم.

وعلى الرغم من أن ظاهر الأمر في الصلح أن المشركين قد كانت لديهم مزية وامتياز فيه، حتى إن بعض الصحابة المقربين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أبدى عدم ارتياحه إزاء فقرات الصلح وتشدد في قبوله، لكن هذا الصلح في الحقيقة قد انطوى على مسائل كثيرة الأهمية، ومن وجهة نظر الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن هذا الصلح كان علىقدر بالغ الأهمية من مثل(٥٠) ترك الحرب والمنازعات لمدة عشر سنين، ضمان أمن المسلمين وسلامة أرواحهم وأموالهم، احترام كلٍ من الطرفين للآخر، جواز دخول مكة المكرمة وأداء المناسكَ في السنة المقبلة.

معاهدات الصلح بعد الحديبية

أولاً: صلح غزوة خيبر

كان ثمة عاملان بعثا على عزم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على فتح قلاع خيبر. أولهما — تصميم اليهود على مهاجمة المدينة. وثانيهما — إيواء تلك القبائل التي أخرجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة وإسكانها في هذه القلاع حيث عدّ هذا العمل من دواعي محاولة غزو المدينة. هذا، ولقد مر فتح خيبر بمرحلتين اثنتين هما مرحلتا الغلبة والصلح. كما تجدر الإشارة إلى أَنَّ بطولة وشجـــاعة الإمام علي عليه السلام في المرحلة الأولى منقطعة النظير. ولقد انقسمت المرحلة الأولى منهما إلى ثلاثة أقسام هي: نطاة، شق، وكتيبة. وفي القسمين الأولين وقعت جيوش العدو في قبضة المسلمين، ولما وصل الأمر في هذه المرحلة إلى القسم الثالث غُلب أهل خيبر علىأمرهم وطلبوا الصلح فقبله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأبرمه(٥١).

وعلى أساس هذا الصلح، صان الخيبريون أنفسهم (أرواحهم) من القتل والأسر، لكنهم أخرجوا من ديارهم فتركوا قلاع خيبر، ولما قبل اليهود هذه المقررات طلبوا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يمارسوا الزراعة في نخيل خيبر فقبل ذلكَ منهم، بأن يعطوا نصف محصولهم على نحو ضريبة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم(٥٢).

ثانياً: صلح يهود فدك

قبل وقوع أي وجه للنزاع طالب أهل فدك من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المصالحة، مثلهم في ذلكَ مثل أهالي خيبر، حيث نصت المعاهدة على نحو معاهدة خيبر: أن يجلوا اليهود عن أرض فدكَ، وأن يمارسوا العمل في الزراعة في نخيل المنطقة على أن يعطوا نصف المحصول ضريبة مقدمة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قبل ذلكَ منه عليه الصلاة والسلام(٥٣).

ثالثاً: صلح في مقابل الجزية(٥٤)

إن المصالحة على أساس الجزية بدأت منذ السنة التاسعة

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-12-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.7.2]

للهجرة، ومن ذلكَ الحين أخذها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب في مواضع ثلاثة:

ألف – في غزوة تبوك: لما وصل المسلمون غازين إلى أرض تبوك، وكان قد مرَّ منها جيش الروم ولم يعد لهم فيها أثر، كانت الفرصة قد حانت حينئذ للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليعرض المصالحة على اليهود والنصارى من سكان هذه المدينة. كما أن مجموعات من أهالي تبوك، كنصارى ديلة ودومة الجندل، ويهود أذرح وجرباء وقفا وتيماء، ... على الرغم من دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إياهم إلى الإسلام إلا أنهم لم يقبلوا منه ذلكَ، ومن ذلكَ الحين فرض عليهم الجزية(٥٥).

ب- في حادثة المباهلة: مع أن هيئة نصارى نجران قد قبلوا المباهلة في بادئ أمرهم، وذلكَ بأن يتواجهوا مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأن يتحاجوا فيما بينهم بالملاعنة، ولما رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قدم إلى الموقع وفق الميعاد المضروب وبصحبته علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فَرُّوا من المباهلة ونحوا عن المواجهة، ومن ثم قبلوا الصلح على أساس الجزية(٥٦).

ج- ومن الموارد الأخرى التي نحا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصلح، مصالحته عليه الصلاة والسلام مع مجوس البحرين، هجر...(٥٧)

الكلمة الأخيرة (نتيجة المقالة)

وفي الختام، فإن نتائج هذه المقالة قد أبان عنها اثنان من كبار الشخصيات المعاصرة في العالم الإسلامي؛ لذا نكتفي بذكر مقالتهم في ذلكَ:

يقول العلامة الكبير الشيخ محمود شلتوت (وهو من علماء أهل السنة) في كتاب السلم والحرب في الإسلام: «لا يمكن أن نفيد من آي القرآن الكريم بأي حال أن الحرب يجب أن تقوم على قدم وساق، وأنها وسيلة يتوسل بها المسلمون لإرغام الكفار على الدخول في الإسلام ليصبحوا مؤمنين(٥٨)»

ويقول الإمام الخميني (ره) في كلامه عن التاريخ والمستقبل (حيث أنه موضع اعتبار وقبول وذا أهمية): «من أجل أن تبقى هذه المسألة مسطرة في التاريخ، فإنني أقول: إن الدولة والشعب الإيراني لا يقفان في ساحة المواجهة مع أيٍ من الشعوب والأنظمةغير المعادية، ومنذ البداية أعلنا أننا ليسَ لدينا أطماع في أراضي الآخرين، وكررنا القول بأننا حسب دستور الإسلام قد نهضنا وثرنا وحكمنا، لسنا بالظالمين أو المظلومين، ولا يمكننا أن نستظل بأعلام الظلم، كما أننا لا نستطيع أن نحكم بغير العدل فنظلم الآخرين. حتى لو أننا امتلكنا كافة الاستطاعة والقدرة العالمية، فإنه ليس من مقررات برنامجنا أن نقدم على غزو الآخرين، ونحن على التزامنا بالإسلام للحرب مخالفين، ونبغي أن يحلّ الصلح والسلام فيما بين كافة الدول، لكننا إذا أكرهنا على الحرب فلن نكفّ أيدينا أو ننكص عن الولوج في ساحة المعركة لنحارب الدنيا بأسرها(٥٩)».

الهوامش

١- إن كلمة «صلح» في أصل معناها، كلمة عربية، وبمعنى المسالمة والتعايش، وذلك بالنظر إلى ارتفاع وزوال العداوة بين المتخاصمين، وإحلال الودّ والسلام والتعايش، وذلكَ بالنظر إلى ارتفاع العداوة من بين المتخاصمين، واحلال الودّ والسلام فيما بينهما. وبالطبع، فإن ثمة كلمات مرادفة لهذه الكلمة مع تفاوت فيما بينها من جهة المعنى، وهو تفاوت يسير، وذلك من مثل: سلم ومسالمة، ودع وموادعة، هدنة ومهادنة... ومما يقارب ذلك معنى نبذ الحرب، وبعبارة دُخرى، مصالحة وتعايش وتجنب القتل والعدوان.

٢- الفرق بين المساعي الإنسانية في العصور الغابرة وبين مساعي الإنسان في الزمان الحاضر في هذا الخصوص، هو أنه في الماضي كانت حمامة السلام تحلق في السماء دلالة على التعايش والمسالمة، بينما يحلق بدلاً منها في عصرنا هذا، في هوائنا وفضائنا القذائف والصواريخ العابرة للقارات والمدمرة للحياة والإنسان.

٣- الجهاد في سبيل الله، أبو الأعلى المودودي، ص ٢٧. وانظر: الحياد في القانون الدولي الإسلامي، سيد أبو القاسم حسيني، ص٧.

٤- انظر: دائرة المعارف الإسلامية، ص ٥٣٨، مقالة E.Tyan وعقائد الغرب وواقع الجهاد في الإسلام، آندروج، نيومن، ج ١، ص ١١٠-١١٧.

٥- انظر: الجهاد، المرحوم الشهيد مرتضى المطهري، ص ١٨-٥٨. تاريخ الإسلام في مؤلفات الشيد المطهري، ج ٢، ص ٤٧.

٦- انظر: فهم جديد لأوجه العدوان والدفاع، ج ١، مقالة: مباني الجهاد في الإسلام، جعفر سبحاني، ص ٣٨. ومقالة «أنواع

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-12-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.7.2]

الدفاع المقدس في نظر الإسلام»، سيد محسن خوارزمي، ص ٣٨١.

٧- سورة التوبة، الآية (٥).

٨- سورة التوبة، الآية (٢٩). وانظر: فهم جديد لأوجه العدوان والدفاع، ج ١، مقالة «مكانة الصلح في العالم»، رسول جعفريان، ص ١٧٥.

٩- انظر: سورة فصلت، الآية (١٠)، وسورة الرحمن، الآيات (١٠_١٢)، وسورةالنحل، الآية (١٢٥)، وسورة الحج، الآية (٦٥)، وسورة الروم، الآية (٤٨).

١٠- انظر: سورة النساء، الآية (١)، وسورة الحجرات، الآية (١٣).

١١- الإسلام والسلام العالمي، ص ٤٨.

١٢- انظر: الإسلام والسلام العالمي، ص ٦٢.

١٣- سورة النحل، الآية (١٢٥).

١٤- سورة الغاشية، الآيتان (٢٢-٢١).

١٥- انظر: مكاتيب الرسول، علي أحمدي ميانجي (٤ مجلدات). وتاريخ الإسلام التحليلي، المؤلف، ص ٧٧-٧٩.

١٦- سورة التوبة، الآية (٦).

١٧- سورة آل عمران؛ الآية (٦٤).

١٨- سورة العنكبوت، الآية (٤٦).

١٩- سورةالأنفال، الآية (٦١).

٢٠- سورة البقرة، الآية (٢٠٨).

٢١- سورة الممتحنة، الآيتان (٩،٨).

٢٢- سورة النساء، الآية (٩٠).

٢٣- سورة النساء، الآية (٩١).

٢٤- من باب ضرب المثال: فإن أسبانيا وشبه جزيرة الأناضول قد حكمتا في آن معاً من قبل المسيحيين والمسلمين، مع فارق أنه في أسبانيا جرت مقتلة عظيمة للمسلمين وطرد للباقين منهم، على نحو أنه لم يبق أحد من المسلمين حياً في ذلكَ العهد. بينما، وعلى نحو مغاير، فإن مقر الكنيسة الأرثوذكسية لا يزال قائماً على ساقه في تركية (الأناضول).

٢٥- ليس من البعيد أن يقال إن المسيحية، بسبب فقدانها نظاماً يرعى متطلبات الحياة الظاهرية المادية للإنسان، أي أحكاماً إلهية معينة للسلوك المادي للإنسان، فإن الحياة الدنيوية للحياة السياسية والحياة الاجتماعية، وانفصالها عن الأصول الدينيةوالروحية الإلهية، كل ذلكَ سبب الدواعي وهيأ الأرضية لكلّ مسلك غير أخلاقي وغير إنساني.

٢٦- سورة البقرة، الآية (٢٥٩).

٢٧- إن الحرية والقانون كالمتلازمين، وهما مرتبطان بالقدرة والقوة والسطوة. فأما الحرية المطلقة التي ينجم عنها الهرج والمرج، فقليل من المفكرين ذوي الألباب من يقبلها.

٢٨- سورة البقرة، الآية (٣٠).

٢٩- سورة البلد، الآية (١٠).

٣٠- سورة الكهف، الآية (٢٩).

٣١- سورة الرعد، الآية (١١)، وسورة الأنفال، الآية(٥٣).

٣٢- انظر: سورة يوسف، الآية (١٥).

٣٣- سورة آل عمران، الآية (٨٥). أي أنه كلّ من اختار له ديناً غير دين الإسلام فلن يقبل عند الله سوء اختياره وسيكون في الآخرة في زمرة أهل النار الخطائين الخاسرين.

٣٤- سورة البقرة، الآيات (١٩٠-١٩٤)، وسورة التوبة، الآيات (٤-٦، ٢٩، ٣٦).

٣٥- انظر: سورة البقرة، الآية (١٩٠).

٣٦- لأن التقسيمات الجغرافية لحدود الدول، اليوم، تشكلت صورتها على أساس القومية والوطنية، وليست هي وفقاً للعقيدة أبداً؛ أن أكثر الحكومات — على أقل تقدير في ظاهر أمرها — لا تمنع الشعب من ممارسة حقه في اختيار دين الإسلام واعتناقه.

٣٧- سورة يونس، الآية (٩٩)، وسورة الأنعام، الآيتان (١٤٩،١٠٧)، وسورة المائدة، الآية (٤٨)، وسورة الكهف، الآية (٢٩).

٣٨- تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٣١.

٣٩- سورة الشورى، الآية (٤٨).

٤٠- سورة الغاشية، الآية (٢٢).

٤١- سورة العنكبوت، الآية (٤٦).

٤٢- سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

٤٣- سورة التوبة، الآية (٦).

٤٤- انظر: مجموعة مقالات الملتقى الدولي لحقوق الإنسان وحوار الحضارات، ص ٣٠٨، ٣٠٩.

٤٥- من بين الوقائع (وقائع الصلح والسلام) التي سجلت في التاريخ إلى جانب معاهدات محدودة، ثمة معاهدتان عظيمتان هما:

الف- صلح قصي بن كلاب وحلفائه (من أقوام قريش، كنانة

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.7.2]
[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-12-26]

وقضاعة) مع قبيلة خزاعة الذين كانوا حكام مكة المكرمة في ذلكَ الحين. وكان من نتيجة هذا الصلح أن هيمنت قريش على مقاليد الأمور في مكة المكرمة.

ب- وصلح بني عبد مناف مع بني عبد الدار، حيث كان الفريقان من نسل قصي، وكان مداره حول إدارة أمور مكة المكرمة حيث كان قد وقع نزاع شديد بينهما، ومن بعد فقد أبرما صلحاً في ذلك من شقين وطرفين (مطيبين وأحلاف) حيث كان كلّ شق منهما مما قرت به عين إحدى العائلتين ونتج عنه التقاسم في إدارة سؤون مكة المكرمة. {انظر مجلة المعرفة، العدد (٤٠)، ص ١٦، ١٧}.

٤٦- فيما يتعلق بتقسيمات اليهود (يهود المدينة وأطرافها)، مضافاً إلى انعقاد اتفاقيتين منفصلة إحداها عن الأخرى (عهد المدينة حيث يدخل فيه يهود الأنصار دخولاً أولياً مثلهم مثل الأوس والخزرج، وأما معاهدة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع القبائل الثلاثة (بني قينقاع، بني النضير وبني قريظة)، فإن ثمة مسألة غير بينة كشف عنها النقاب أحد الكتاب المعاصرين؛ ذلك أَنَّ المسلمين لما عزموا غزو اليهود المتحصنين في خيبر وتوجهوا إلى قلاعها، فإن يهود المدينة أظهروا ردود فعل إزاء هذا القرار من قبل الرسول والمسلمين، وقد تمثلت في تصرفين اثنين:

أولهما — أنذروا المسلمين وأخذوا بتخويفهم من مواجهة يهود خيبر.

وثانيهما — كلُّ من كان له دَيْنٌ على المسلمين أخذ في المطالبة وألحّ في مساءلة المدينين. وهذا، حينما لم يكن أيّ من قبائل اليهود الثلاثة في المدينة، بل كانوا قد أخرجوا منها بسبب تمردهم وعصيانهم ونقضهم للعهود. انظر في ذلك {مجلة المعرفة، العدد (٤٠)، ص ١٧، مقالة بعنوان مشهد من الصلح والسلام، حامد منتظر مقدم}. وانظر: كتاب المغازي، ج ٢، ص ٨٤.

٤٧- بالطبع لم تتوان أي من القبائل الثلاثة في نقضها للعهد، الواحدة تلو الأخرى، من الفريق الثاني (يهود أطراف المدينة)، وقد لقي كلٌّ منهما جزاءه، وبعض منها جرت حرب بينه وبين المسلمين، حيث سجل ذلك في كتب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك بعد تلك المصالحات والموادعات بينه وبينهم. انظر: {علاقة دولة المدينة المنورة بالأقليات الدينية، ص ٨٢-٨٥}.

٤٨- كتاب المغازي، ج ١، ص ١١، ١٢.

٤٩- السيرةالنبوية، ج ١، ص ٥٥٩. الروض الأنف، ج ٥، ص ١٧٨. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٦٦.

٥٠- وبالطبع، فإن أهل مكة (قريش) قد نقضت المعاهدة هذه بعد اثنين وعشرين شهراً من إبرام الصلح مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان ذلكَ بدوره ممهداً لفتح مكة المكرمة حيث عدّ عاملاً مهماً لذلك.

٥١- كتاب المغازي، ج ٢، ص ٦٧٠، ٦٧١.

٥٢- نفسه، ص ٦٧٠-٦٩٠.

٥٣- السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٥٣. وانظر كذلك: فدك في التاريخ.

٥٤- الجزية هي نوع من الضرائب السنوية المسماة التي تفرض على أهل الكتاب (اليهود، النصارى والمجوس) من قبل الحكام المسلم، والضريبة هذه إنما سنت لأجل حماية وحفظ أرواح أهل الكتاب هؤلاء، ولكي يتسنى لهم العيش في ظلْ الدولة الإسلامية. وليست هي على نحو أخذ الخراج والاستثمار وقد ورد في كتب التاريخ أن المسلمين لما فتحوا عاصمة الشام، فإن كبار أهل الكتاب أعطوا المال حثياً في أواني من الذهب والفضة وقدموها لقائد المسلمين. وبعد مدة، أعلن هرقل ملك وامبراطور الروم الحرب على المسلمين، وحينئذ أمر القائد أن تجمع بجمع أهل الكتاب من يهود ونصارى (ولقد ظن هؤلاء أنهم سيلزمون بدفع قدر أكبر من الجزية). لكن القائد المسلم أمر أن تعاد إليهم أموالهم كاملة، وقد قال لهم مخاطباً إياهم، لقد أخذنا منكم هذه الجزية للعيش معاً لكن لما لم يتضح لنا الأمر في ذلك، وقد نهزم في الحرب ونغلب، ولن نستطيع لذلك تسيير شؤون المدينة ولن نستطيع كذلكَ المحافظة علي أرواحكم وتقديم الحماية لكم؛ لذلك فنحن نعيد إليكم أموالكم... انظر: فتوح البلدان، ج ١، ص ١٦٢. علاقة دولة المدينة المنورة بالأقليات الدينية، ص ٨٧. النظم الإسلامية، علائمها وتطورها، ص ٣٦٣، ٣٦٢

٥٥- انظر: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٤٨. وَ مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٤، رسالة جامعية.

٥٦- تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٣، ٨٤.

٥٧- كتاب المغازي، ج ٢، ص ٧١١. وَ ج ٣، ص ١٠٢٧. وانظر: مجلة المعارف، العدد الخاص بتاريخ الإسلام، ص ١٣٦-١٣٨.

٥٨- الحرب والسلام في الإسلام، ص ٥٢.

٥٩- في تلمس الطريق، من كلام الإمام (الكتاب الثاني،

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.7.2]
[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-12-26]

الحرب والجهاد)، على الترتيب التالي للصفحات ١٢٦، ١٢٨، ١٣٥.

المصادر والمنابع

١- الإسلام والسلام العالمي.
٢- تاريخ الإسلام التحليلي، المؤلف.
٣- تاريخ الإسلام في مؤلفات الشهيد المطهري.
٤- تاريخ اليعقوبي.
٥- تفسير نور الثقلين، ص ٣٨١.
٦- الجهاد، مرتضى المطهري.
٧- الجهاد في سبيل الله، أبو الأعلى المودودي.
٨- الحرب والسلام في الإسلام.
٩- الحياد في القانون الدولي الإسلامي، سيد أبو القاسم حسيني.
١٠- دائرة المعارف الإسلامية، مقالة: عقائد الغرب وواقع الجهاد في الإسلام، آندروج، نيومن.
١١- دائرةالمعارف الإسلامية، مقالة E.Tyan.
١٢- الروض الأنف.
١٣- السيرة النبوية.
١٤- علاقة دولة المدينة المنورة بالأقليات الدينية.
١٥- فتوح البلدان.
١٦- فدك في التاريخ.
١٧- فهم جديد لأوجه العدوان والدفاع، مقالة: أنواع الدفاع المقدس في نظر الإسلام، سيد محسن خوارزمي.
١٨- فهم جديد لأوجه العدوان والدفاع، مقالة: مباني الجهاد في الإسلام، جعفر سبحاني.
١٩- فهم جديد لأوجه العدوان والدفاع، مقاله: مكانة الصلح في العالم، رسول جعفريان.
٢٠- في تلمس الطريق، من كلام الإمام (الكتاب الثاني، الحرب والجهاد). كتاب المغازي.
٢١- مجلة المعارف، العدد الخاص بتاريخ الإسلام.
٢٢- مجلة المعرفة، العدد (٤٠)، مقالة بعنوان: مشهد من الصلح والسلام، حامد منتظر مقدم.
٢٣- مجمع البيان، رسالة جامعية.
٢٤- مجموعة مقالات الملتقى الدولي لحقوق الإنسان وحوار الحضارات.
٢٥- مكاتيب الرسول، علي أحمدي ميانجي (٤ مجلدات).
٢٦- النظم الإسلامية، علائمها وتطورها.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-12-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.7.2]